مجلة كلية القانون والعلوم السياسية العدد (٧)

تأثير القيم الدينية في التفكير الاستراتيجي الامريكي بعد عام ٢٠٠١

THE INFLUENCE OF RELIGION VALUES ON AMERICAN STRATEGIC THINKING AFTER 2001

أ.د. سرمد عبد الستار امين

الباحث: مصطفى حمادي ابراهيم

الجامعة العراقية/ كلية القانون والعلوم السياسية.

الملخص

يشكل الدين جزءاً كبيراً من التكوين الايديولوجي للمجتمع الامريكي حيث تعتبر المسيحية الديانة الاولى في الولايات المتحدة الامريكية، وتنقسم المسيحية الى مذاهب متعددة يحظى فيها المذهب البروتستانتي بإيمان الاغلبية الساحقة من الامريكيين. وعلى الرغم من أن الدستور الأمريكي وتعديلاته تؤكد على مبدأ العلمانية والفصل بين الدين والدولة، فإن الدين كان-ومازال- يمثل عنصراً أساسياً ومهماً من عناصر خصوصية المجتمع الأمريكي، فالحياة الأمريكية –بالمجمل- تخضع لنظام قيمي محدد تتفاعل داخله العديد من الأديان، ولكن بدرجات مختلفة تفصل بينها مسافات اجتماعية واتجاهات فكرية ومذهبية تؤكد على هذه التعددية.

Abstract

Religion is a large part of the ideological formation of American society, where Christianity is the first religion in the United States of America, and Christianity is divided into multiple doctrines in which Protestant doctrine has the faith of the overwhelming majority of Americans. Although the American Constitution and its amendments emphasize the principle of secularism and the separation of religion and state, religion was - and still is - an essential and important element of the privacy of American society. American life - in general - is subject to a specific value system in which many religions interact, but to different degrees They are separated by social distances and intellectual and sectarian tendencies that emphasize this diversity.

المقدمة

كان اكتشاف (كريستوفر كولومبس) للعالم الجديد بداية لتشجيع الآخرين للكشف والبحث. حيث اندفع المستكشفون والمغامرون من جميع أنحاء أوروبا مخاطرين بحياتهم و بأموالهم كي يصبحوا أغنياء ويكونوا إمبراطوريات جديدة. تعامل الأوربيون مع العالم الجديد باعتباره ساحة ومنصة مفتوحة لنشر المسيحية من قبل الكنيسة الكاثوليكية تحديدا، وخاصة عندما خاب أملهم في تحقيق أطماعهم وأحلامهم بالبحث الذهب، الذي كان الغاية الرئيسية لرحلاتهم حيث استبدلوا ذلك بإقامة المزارع الواسعة والكبيرة، «فعملوا على استعباد السكان الأصليين (الهنود الحمر) للعمل في مزارعهم من ناحية، ومن ناحية ثانية قاموا بحملات تبشير واسعة ونشر للمسيحية بين سكان العالم الجديد وتحويلهم للمسيحية».

تعود نشاءة المجتمع الامريكي الى المهاجرين الاوائل الذين هاجروا من اوروبا في بدايات عصر النهضة بسبب الاضطهاد الديني الذي كانت تمارسه الكنيسة ضد الافراد الذين يعتقدون بمذاهب ومعتقدات خلاف المسيحية الكاثوليكية التي كانت سائدة ومنتشرة في اوروبا. وبدأت اولى موجات الاستيطان الانكليزي للقارة الامريكية في العام ١٦٠٧ عندما دخلت ثلاث سفن صغيرة تابعة لشركة فرجينيا التجارية نهر جيمس بحثاً عن الذهب والثراء العاجل واختبار الاراضي ومدى ملائمتها لسكنى الانكليز.

ان العقائد اليهودية المترسخة في عقول ونفوس وضمائر المهاجرين الأوائل البريطانيين جعلهم يرون ان يد الرب ترعى الشعب البريطاني وان يد الله هي التي أخرجت المهجرين الاوائل الى الاراضي الجديدة التي شبهوها بخروج اليهود من ارض مصر القديمة للتجمع في أرض كنعان، او بعد عودتهم من ارض بابل بعد سبيهم، وتجمعهم من جديد لإنشاء الدولة اليهودية الموعودة وكانت هذه الفكرة متجذرة بفكر المهاجرين الاوائل، و يظهر ذلك جلياً في خطبة (ونثروب) في الحجاج الأوائل الطهوريين على متن السفينة (ماي فلور)، الذي أكدوا فيها ان رحلتهم هذه هي رحلة بني اسرائيل، وهي عهد مع الله لإنشاء مملكة الله على الارض لذا علينا ان نجعل مستعمراتنا الجديدة (مدينة على جبل)، وهذا الرمز(مدينة على جبل) هو رمز لأورشليم ولصهيون ايضاً، ويستخدم من لدن المهاجرين الاوائل (الطهوريين) لأمرين مهمين للغاية، الاول: التأكيد ان الفكر اليهودي هو الدعامة الرئيسة التي بنيت عليه الولايات المتحدة الأمريكية، والامر الثاني: التأكيد بان امريكا هي بلد الله والتي ستكون اشعاعاً للقيم الأمريكية ومناراً لها، وهي التي ستنشر التدين، و العدل، و الحرية في جميع ارجاء العالم.

اهمية الدراسة:

بالرغم من كون المجتمع الامريكي يعد من اكثر المجتمعات الغربية تطوراً وحداثة، الا انه يعد المجتمع الوحيد الذي ما زال الدين يشكل فيه مرتكزاً اساسياً على مستوى الممارسة الفردية من جهة، وعلى مستوى البيئة الثقافية والاجتماعية وحركية المجتمع المدني من جهة اخرى. وهنا نجد حالة التناقض تبدو واضحة للعيان بين المجتمع الذي يوصف بانه يقوم على مرتكزي (المادية والبرغماتية) ومع ذلك هو يخضع لتأثير الدين. ان معظم المسيحيين في الولايات المتحدة يدينون بالمذهب البروتستانتي الذي عمل على الرجوع الى التوراة والايمان بفكرة (الشعب المختار) و (ارض الميعاد)، والربط بين اليهود وحمايتهم وظهور المسيح المخلص في اخر الزمان، ونتج عن ذلك التأييد المطلق والكامل (لإسرائيل) بحجة تحقيق نبوءات الكتاب المقدس وتنفيذ ارادة الرب، ومن ثم فإنّ دعم (اسرائيل) والحفاظ عليها اضحى واجباً دينياً مقدساً.

مشكلة الدراسة:

تدور مشكلة البحث حول السؤال المركزي التالي : ما مدى تأثير القيم الدينية في التفكير الاستراتيجي الامريكي؟ ومن خلال طرح هذه المشكلة يمكننا صياغة الاسئلة التالية: ما هذه القيم؟ وما انواعها ومستوياتها؟ وهل للعقائد اليهودية اثر في القيم الدينية الامريكية؟ وكيف اثرت منظومة القيم الدينية في الفكر الاستراتيجي الامريكي المعاصر؟ ما نتائج ذلك على واقع حال السياسة الامريكية خارجياً؟ وما تأثير ذلك على العالم؟.

فرضية الدراسة:

في اطار ما تقدم فان دراستنا هذه ستعالج هذه الحقائق في ضوء فرضية محددة قوامها: ان استمرار ضغط وتأثير القيم الدينية في التفكير الاستراتيجي الامريكي يطبع سلوكها الدولي بالمزيد من التشدد والعنف وينذر باستعادة اجواء الحرب الباردة بين الشرق والغرب بكل ما تنطوي عليه تلك الاجواء من احتمالات التهديد للأمن والسلام العالميين.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة في اطارها النظري على المدرسة البنائية في العلاقات الدولية، حيث تركز هذه المدرسة على الجانب القيمي واهمية الافكار والمتبنيات الدينية والثقافية واثرها في صراعات المستقبل. اما في الجانب المنهجي فتم استخدام منهج التحليل النظمي في البحث بالدرجة الاساس. ويقوم هذا المنهج على دراسة المدخلات والمخرجات ثم التغذية العكسية من المخرجات الى المدخلات.

هيكلية الدراسة:

انقسمت الدراسة الى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

المبحث الاول: (التفكير الاستراتيجي مفهومه وخصائصه). وقد انقسم الى محورين: الاول يبحث في مفهوم التفكير الاستراتيجي، اما الثاني فقد اختص بدراسة التفكير الاستراتيجي الامريكي ومدارسه ومقوماته.

المبحث الثاني: (القيم الدينية الامريكية) وقد قسم الى محورين: الاول يدرس نشأة المجتمع الامريكي، والثاني يبحث في القيم الدينية المؤثرة في التفكير الاستراتيجي الامريكي.

المبحث الثالث: (النتائج المترتبة على تأثير القيم الدينية في التفكير الاستراتيجي الامريكي). وقد قسم الى ثلاثة محاور: الاول يدرس النتائج في زمن ادارة الرئيس بوش الابن والثاني يدرس النتائج في زمن ادارة الرئيس اوباما، والثالث يدرس النتائج في زمن ادارة الرئيس ترامب.

المبحث الاول
التفكير الاستراتيجي مفهومه وخصائصه

المحور الاول: مفهوم التفكير الاستراتيجي

ان مفهوم التفكير الاستراتيجي ومنطلقاته الفلسفية ضهر في الاساس كرد فعل قامت به الاوساط البحثية التي تستخدم الادارة الاستراتيجية لأسلوب التخطيط الاستراتيجي ومدى فاعليته في الوصول الى الاهداف والغايات[١]. فالتفكير الاستراتيجي يتضمن التفكير والعمل ضمن مجموعة محددة من الفرضيات والبدائل المحتملة التي تقود الى افتراضات وبدائل محتملة اكثر ملائمة من سابقاتها، مع العرض ان التفكير الاستراتيجي في جوهره هو الاستجابة اليومية للفرص والمشاكل والحقائق الجديدة مع التركيز على عملية خلق المستقبل وصناعته وكيفية السيطرة عليه من خلال اضافة القيمة للمجتمع[٢].

تعددت تعريفات التفكير الاستراتيجي، فهناك من يقول بانه (تعبير مجرد يعتمد على مجموعة من الأفكار والأهداف والأساليب المنتظمة وفق إطار عام يطغى عليه التنظيم والوعي ووحدة الأداء حتى يصبح التفكير مرجعية تتحقق عليها الأهداف وتقاس من خلالها)[٣]، كما وانه يعرف بانه (عملية استشراف المستقبل وتحديد مجموعة من الاتجاهات للاستفادة من الفرص المتاحة ومواجهة التحديات والمتغيرات المستقبلية، لأجل استنباط الاستراتيجيات ورسم الخطوط المناسبة التي تحول الرؤية المستقبلية الى واقع)[٤].

ويمكن القول ان التفكير الاستراتيجي مر بأربع مراحل متميزة هي[٥]:

١. مرحلة الفهم الاولي: هذه المرحلة تعود الى عدة محاولات وصفت بالمبكرة في نهاية عقد الثمانينات من القرن الماضي الرامية لتمييز مفهوم الاستراتيجية عن الادارة الاستراتيجية كحقل علمي وعلاقتهما بصياغة الاستراتيجية، فعمل على تبسيط مفهوم التفكير الاستراتيجي كونه في الاساس هو عملية تحليل الموقع التنافسي لتحسين المكانة التنافسية للدولة. وبالرغم من ان هذه المحاولة الاولية لبداية فهم التفكير الاستراتيجي وان لم تكن ناضجة بما يكفي لتتطابق مع الادراك الحالي للتفكير الاستراتيجي، الا انها عملت على اثراء المعرفة العلمية لحقل

(١) طارق شريف يونس، أنماط التفكير الاستراتيجي وأثرها في اختيار مدخل اتخاذ القرار، دار الكتاب الثقافي، عمان، ٢٠١٢، ص ٥٥.

(٢) زكريا الدوري و احمد علي صالح، الفكر الاستراتيجي وانعكاساته على منظمات الاعمال، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان،٢٠٠٩، ص ٢٧٦.

(٣) رائد صبار لفتة، اثر الاستشراف والتفكير الاستراتيجي في السلوك الاستراتيجي للدولة (دراسة في النموذج العراقي)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية/ جامعة النهرين، بغداد، ٢٠٠٤، ص٢٩.

(٤) نحو مجتمع المعرفة، سلسلة دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، الاصدار ٤٦، ٢٠١٢، ص ١١٥.

(٥) رائد صبار لفتة، المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤.

الاستراتيجية مما ادى لاحقاً للتطور في فهم وادراك التفكير الاستراتيجي.

٢. مرحلة التطور المنطقي: في هذه المرحلة فان التفكير الاستراتيجي تطور تطوراً منطقياً تماشياً مع التطور الذي حصل في الاستراتيجية والادارة الاستراتيجية فتوسع التفكير الاستراتيجي ليمتد الى صياغة وتنفيذ الاستراتيجية والاداء الاستراتيجي للدولة. واصبح مفهومه يتداخل مع كل من التخطيط الاستراتيجي، والتنظيم الاستراتيجي، والتحليل الاستراتيجي، والقيادة الاستراتيجية. لذلك فانه اضحى يغطي بشكل عام كل الفعاليات المرتبطة بالفعل الاستراتيجي والمتداخلة معه.

٣. مرحلة التمييز البسيط: بعد التطور الذي شهده التفكير الاستراتيجي في المرحلة السابقة قياساً مع بقية النشاطات والمتغيرات الاستراتيجية، بدأ في هذه المرحلة الضهور بشكل واضح كعملية استراتيجية مستقلة، وذلك عندما حاول العديد من المفكرين الاستراتيجيين تمييزه عن الادارة الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي بشكل دقيق. الا ان ما يؤخذ على هذه المحاولات انها كانت بسيطة ولم تكن كاملة. فهناك من جعل من التخطيط الاستراتيجي جزء من التفكير الاستراتيجي واخرون اعتبروهما يدوران في فلك الادارة الاستراتيجية يكل احدهما الاخر كعمليتين.

٤. مرحلة الفعل المؤسسي: في هذه المرحلة شهد التفكير الاستراتيجي تقدماً ملحوظاً باتجاه تمييزه واستقلاله كنشاطٍ او فعلٍ استراتيجي له كيانه الخاص ضمن نشاطات الدول وذلك بسبب اتساع دائرة التغيرات المتعددة في البيئة الخارجية من جهة وتزايد الحاجة الى النشاطات المرتبطة بالقدرات العقلية والذهنية العالية ذات التأثير المباشر على التفكير الاستراتيجي من جهة اخرى.

المحور الثاني: التفكير الاستراتيجي الامريكي(مدارسه ومقوماته)

عرف التفكير الاستراتيجي الامريكي بعد الحرب الباردة ثلاثة مدارس شكلت الغطاء الفكري والتنظيري له واخذ يتأرجح بينها، هذه المدارس هي[٦]:

١. مدرسة المحافظون الجدد: ويمثل هذه المدرسة (ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وبول ولفوفيتز وكونداليزا رايس) وغيرهم ممن وقعوا على (وثيقة مشروع القرن الامريكي الجديد). يؤمن اتباع هذه المدرسة بأحقية التدخل العسكري الامريكي المنفرد وحسب رغبتها وفق المصالح الخاصة الامريكية، فهم لا يقيمون وزناً لمنظمة الامم المتحدة ولا حتى لحلفائهم في حلف الناتو. ويعدون استخدام القوة العسكرية او العقوبات الاقتصادية من جانب احادي وسائل مشروعة بهدف القضاء على التهديدات والترويج للأفكار والمبادئ الديمقراطية، ويرى المحافظون الجدد ان على الولايات

(٦) جهاد عودة، النظام الاجتماعي والاستراتيجي الامريكي المأزوم، دار كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٢-٢٥.

المتحدة ان تلعب دوراً قيادياً في العالم وهم غير معنيين بمن يعتقد بضرورة وضع الضوابط والحدود للقوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة حين استخدامهما.

٢. المدرسة الليبرالية: وابرز من يمثل هذه المدرسة مستشار الامن القومي السابق (زبغينيو برجنسكي) والمفكر الامريكي (جوزيف س. ناي)، فيرى انصار هذه المدرسة ان المحافظون الجدد بالغوا في استخدامهم للقوة الصلبة الامريكية مما ادى الى عزلة الولايات المتحدة ونبذها من اقرب حلفائها وهم الاوربيين. بل على العكس من ذلك هم يدعون الى ضرورة العمل من خلال التحالفات والشراكات الدولية، وعلى استخدام القوة الناعمة والدبلوماسية في السياسة الخارجية الامريكية لأجل بناء استراتيجي عالمي يقود الى تأسيس تحالفات ضرورية تكون الولايات المتحدة هي القائد لها بقناعة الاخرين بهذه القيادة. فيذهب (بريجنسكي) الى تشجيع توسع حلف الناتو والاتحاد الاوربي شرقاً لضم اوكرانيا ودول البلقان والدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي، مع اهمية عدم تضخيم دور الارهاب واتباع القوة العسكرية الاحادية فقط في محاربته لان ذلك سيؤدي بالضرورة لعل الولايات المتحدة بل على العكس هو يطالب اوروبا بان تلعب دوراً اكبر في احتواء وادارة الازمات الامنية العالمية، ويدعو حل المشكلات المعقدة في الشرق الاوسط واوراسيا والبلقان لتحقيق السلام والاستقرار العالميين. اما (جوزيف ناي) فيرى ان الاعتماد الامريكي الفرط على القوة العسكرية وعولمة الاقتصاد احدثت ردات فعل اجتماعية وسياسية على المستوى العالمي زادت من مدى الكراهية والغضب تجاه الولايات المتحدة، لذلك يتوجب عليها التوسع في استخدام القوة الناعمة في سبيل الحد من مستويات العداء تجاه الولايات المتحد واعادة تسويق النموذج الامريكي.

٣. المدرسة الواقعية: وابرز مفكري هذه المدرسة هو وزير الخارجية الامريكية السابق (هنري كيسنجر) ومسؤول التخطيط السياسي السابق في وزارة الخارجية الامريكي (ريتشارد هاس)، وعلى الرغم من الاختلاف في طروحات كلاً منهما لما يجب ان تنتهجه السياسية الخارجية الامريكية وما يجب ان تكون عليه، الا ان الاثنين يشتركان بنظرة اكثر واقعية مفادها ان الخطر الاساسي الذي تواجهه الولايات المتحدة هو لا استقراريه وتوازن العلاقات بين القوى الرئيسية في العالم، لذلك نجدهما يؤكدان على دور التحالفات والشراكة العالمية بين الولايات المتحدة وأوروبا والصين واليابان والهند بصورة اساسية، مع ضرورة اعتماد الولايات المتحدة على القوة العسكرية والدبلوماسية (القوة الذكية) بمسار واحد. وأخيراً السعي لإقامة توازن عالمي مستقر.

اما مقومات التفكير الاستراتيجي الامريكي فهي تشمل(٧):

اولاً: توظيف التحولات الكبرى في النظام الدولي. وذلك لأجل بناء استراتيجية قوية تكون قادرة على مواجهة التحديات والاخطار الناشئة عن هذه التحولات واعادة صياغتها والاستفادة منها لتحقيق الاهداف الامريكية وابرز مثال على ذلك تفكك الاتحاد السوفيتي في العام ١٩٩٠، احداث ٢٠٠١/٩/١١، حراك الربيع العربي عام ٢٠١٠. (اللافت في الامر ان هذه الاحداث الكبرى على المستوى الدولي حدثت على خطٍ زمني واحد اشبه بدورة زمنية تحدث كل ١٠ سنوات)!.

ثانياً: استعارة الطرق العلمية. فمن المعروف ان الولايات المتحدة توصف بانها رائدة العلم التجريبي وهي ارضٌ خصبة للبراغماتية، لذلك نجد ان التفكير الاستراتيجي الامريكي ارتبط ارتباطاً وثيقاً في العلوم الاجتماعية عامة وفي علم السياسية بشكلٍ خاص، ويمكن القول ان التفكير الاستراتيجي الامريكي يقوم على ثلاثة اسسٍ علمية. هي:

- المثالية: وذلك في دفاعه عن القيم الغربية والامريكية منها بشكل خاص.
- السلوكية: ويبدو ذلك جلياً في تعقب سلوكيات وتصرفات الافراد والجماعات والدول تجاه الولايات المتحدة، لكون هذه السلوكيات والتحركات تنعكس على شكل افعال يمكن تلمسها وقياسها كمياً وكيفياً.
- الواقعية: ويكون هذا المنهج حاضراً عند الدفاع عن المصالح الامريكية وحمايتها من مختلف التهديدات، ويمكن القول ان التفكير الاستراتيجي الامريكي بالمجمل يقوم على المدرسة الواقعية بصنفيها التقليدية والمعاصرة بأشكالها المختلفة.

ثالثاً: العدو المحفز. فالتفكير الاستراتيجي الامريكي لا يبدأ من الفراغ، بل على العكس من ذلك تماماً، فهو يقوم على اساس وجود تحديات كبرى تخترق الرؤية العالمية النظامية التي ترسمها الولايات المتحدة للعالم، ويمكن بسهولة ضرب العديد من الامثلة بخصوص هذا الشأن، فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي برز تساؤل كبير لدى المفكرين الاستراتيجيين الامريكيين مفاده من هو العدو التالي؟ لكون الولايات المتحدة كدولة ادركت دروس التاريخ التي تقول (انت قوي مادام لديك عدوٌ قوي). احاث الحادي عشر من ايلول وفرت فرصة عظيمة للولايات المتحدة تمثلت بعدو هلامي وغير نظامي يمكنها من فتح ساحة للحرب لا يحدها زمان او مكان، والنتيجة ان تحول التفكير الاستراتيجي الامريكي من حالة التخبط وعدم التوجه بعد انتهاء الحرب الباردة بسبب انهيار الاتحاد السوفيتي العدو التقليدي الى حالة الانضباط الفكري بوجود عدو اخر لا يقل اهمية عن العدو السابق الا وهو الارهاب (الذي يرتدي ثوب الاسلام العدو الحقيقي للغرب الحضاري).

رابعاً: سيطرة البعد القيمي. حيث يخضع التفكير الاستراتيجي الامريكي لضغط المنظومة القيمية للمجتمع الامريكي بأبعادها الثقافية والدينية والعسكرية.

(٧) امين شعبان امين، الاستراتيجية الامريكية تجاه حركات الاسلام السياسي في مصر، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة، ٢٠١٥، ص ٣٧-٤٨.

فيؤكد كل من صمويل هنتنجتون وجوزيف ناي وفرانسيس فوكو ياما وغيرهم ومن خلال كتبهم ونظرياتهم على اهمية البعد القيمي في صياغة وبناء التفكير الاستراتيجي الامريكي.

خامساً: بناء الامبراطورية والمحافظة عليها. ويكون ذلك عن طريق التوظيف والتفكير الايديولوجيين للعلم خدمةً لمصالح الولايات المتحدة وتأكيداً لهيمنتها على العالم بواسطة القوة بأنواعها الثلاثة الصلبة، الناعمة، الذكية.

سادساً: مركزية الهوية. وهو عامل مهم من عوامل التفكير الاستراتيجي الامريكي، حيث تشغل الهوية والنسق المعرفي مساحة مهمة من هذا التفكير والدفاع عنهما قيمة عليا لا يمكن التفريط بها، فالهوية الامريكية في حقيقتها هي جوهر الامن القومي الامريكي.

ومما سبق نجد ان التفكير الاستراتيجي الامريكي في جوهره هو الاساس الذي تقوم عليه عملية بناء الاستراتيجية الامريكية، وتعد سياسة الاحتواء للمفكر الاستراتيجي الامريكي (جورج كينيان) التي طبقت على الاتحاد السوفيتي السابق هي اول عملية تفكير استراتيجي في تاريخ الاستراتيجية الامريكية. ومما سبق يرى الباحث ان التفكير الاستراتيجي الامريكي هو عملية علمية منظمة تقوم على مجموعة من الافكار والقيم والمعتقدات التي توضع وفق خطة منهجية لتحقيق الاهداف التي يبغي صانع القرار الامريكي تحقيقها من جهة، ومحاولة استشراف المستقبل لأجل بناء استراتيجية امريكية واقعية ومرنة تعمل على استثمار الفرص المتاحة وتستجيب لكافة التحديات الراهنة والمستقبلية لضمان الهيمنة الامريكية على العالم من جهة اخرى.

المبحث الثاني
القيم الدينية الامريكية

المحور الاول: نشأة المجتمع الامريكي

مثلت اولى محاولات اقتحام العالم الجديد لا جل بناء المستوطنات والمستعمرات فيه حينما أقدمت مجموعتان من المهاجرين أوائل القرن السابع عشر، الاولى منهما ذهبت الى فرجينيا مع الكابتن جون سميث، حيث ذهب المغامرون والحرفيون سعياً وراء الثروة والذهب. اما المجموعة الثانية فقد ذهبت الى ماساشوستس مع حاكم الولاية (جون وينثروب) حيث ذهب الحجاج والطهوريون (البيوريتانيون) بحثاً عن الفردوس. وبقي هذان الدافعان يحركان عملية التوسع الأمريكية منذ ذلك التاريخ(٨).

عندما وصل المهاجرون (الطهوريون) الأوائل "تحركهم تصورات اليهود القدامى" إلى القارة الجديدة وأسسوا أولى المستعمرات في خليج ماساشوستس اعتبروا ان هذه الارض الجديدة هي(إسرائيل الجديدة وأرض الميعاد) وغيرها من التسميات التي أطلقت على فلسطين في أسفار العهد القديم. وقد عبر عن ذلك البروتستانتي (جون كوتون) في خطبته اثناء تأسيس مستعمرة ماساشوستس بقوله:(إن الرب حين خلقنا ونفخ فينا روح الحياة أعطانا أرض الميعاد "أمريكا" وما دمنا الآن في الارض الجديدة فلابد من بداية جديدة للحياة نعمل فيها من أجل مجد بني اسرائيل، هذا هو الشعب المختار). وأيضاً (جون وينثروب) في خطبته عام ١٦٣٠ عندما صاغ العهد الأمريكي على شاكلة العهد بين اسرائيل والله (يهوه) في ارض سيناء، فكرر على مسامع المهاجرين ما قاله موسى لبني اسرائيل :(إنكم مقبلون على الأرض التي اقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها)، ثم أخبرهم بأن كل مصير أمريكا ومن فيها وما سيحدث لها في قادم الايام مكتوب ومحتوم الحدوث في هذا العهد الذي أعطاهم فيه ربهم (الأرض التي اقسم أن يعطيها لآبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب)(٩).

يمكن القول بان الطهوريين جاءوا إلى العالم الجديد مدفوعين بدوافع دينية، فهم أتوا ليعيشوا حياتهم بالشكل الذي يتماشى مع معتقداتهم وافكارهم الدينية. «ولقد امتلكوا قناعة بان الله أسند إليهم القيام بدور بارز في تاريخ العالم. وقد كانت قاعدتهم في الحياة المبدأ البروتستانتي القائل: بأن الكتاب المقدس وحده يجب ان يكون إمامهم ومرشدهم الأعلى»(١٠).

وفيما يتعلق بالمجتمع، فقد «تطلعوا إلى العهد القديم، والذي تحدث عن حكومة الله في إسرائيل، حيث نادوا بأن هذه المبادئ المعطاة من لدن الله يجب ان

(٨) كلايد برستوفتز، الدول المارقة- الدفع الاحادي في السياسة الخارجية الامريكية، ترجمة فاضل جتكر، شركة الحوار الثقافي، بيروت، ٢٠٠٣،ص ٤.

(٩) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، مكتبة الشروق، القاهرة،٢٠٠١ ، ص٧٧.

(١٠) مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة، ترجمة عصام فايز واخرون، مكتبة الشروق، القاهرة،ط٣، ٢٠٠٦، ص٧٣.

تطبق على الأمم في هذه الايام»[١١]. لقد كان الطهوريون، اكثر مستوطني الشمال الامريكي تأثيرا ووضوحا في الثقافة الأمريكية، وقد نجح الجيل التالي منهم بنشر وعرض التقليد الطهوري على إنها التراث القومي الأمريكي. ورافق هذا العديد من وجهات النظر التي تتوافق مع رؤاهم"، الأمر الذي جعل الأمريكيون يتقبلون بسرعة أحاديث الميثاق المتعلق بالحصول على مباركة الله، أو التعرض لخطر أحكامه»[١٢].

ان أهم ما ارساهُ الطهوريين في الولايات المتحدة هو العهد الذي كان عبارة عن اتفاقية أبرموها بعضهم مع بعضهم الآخر ومع الرب (إذا أمَّن الرب ذهابنا إلى العالم الجديد، سنؤسس مجتمعاً تحكمه القوانين الإلهية)، ومن ثم أصبح هذا العهد بمثابة عقد ملزم لسائر المجتمع، وقد أثر هذا العهد جذرياً في التفكير الأمريكي على الصعيدين الديني والمجتمعي وانعكس بشكل واضح على كل من النظم الدينية والسياسية، وهذا يوضح مساندة الدولة للكنيسة (والعكس صحيح ايضاً) على الرغم من كونهما مؤسستين مستقلتين[١٣].

أصبح هذا العهد شيئاً مهماً في التاريخ السياسي للولايات المتحدة، فعندما وضع المؤسسون الأوائل للدولة الامريكية وثيقة إعلان الاستقلال كان مفهوم العقد الاجتماعي مفهوماً مهماً عندهم، فالأفراد يبرمون وبمحض ارادتهم عقداً مع الحكومة يوافقون بموجبه على الخضوع لحكمها مقابل حماية حقوقهم الثابتة. وكان العقد الاجتماعي مختلفاً تماماً عن العهد الطهوري، إذ إنه انبثق من كتابات جون لوك أكثر من انبثاقه من أفكار الطهوريين. ومع ذلك، يجب الاشارة إلى نقطتين مهمتين: الأولى إن لاهوت العهد قد سبق افكار جون لوك، ومن المحتمل أن يكون قد أثر على افكاره بشأن العقد الاجتماعي بين المواطنين والحكومة. والثانية ان لاهوت العهد الطهوري قد أعدّ الأفراد للتفكير في العقد الاجتماعي، فهو قد اعد اذهانهم لمسألة التفكير في الالتزام بالالتزامات والاتفاقيات التي تتعلق بالرب وأعضاء المجتمع بمقابل فوائد معينة تعود بالنفع على الجميع داخل المجتمع. حيث حول العقد الاجتماعي العهد اللاهوتي الى عهد بين الأفراد والحكومة بعدما كان عهد بين الرب والناس[١٤].

ان المهاجرين الأوائل وبالرغم مما اتفقوا عليه والتزامهم المحكم به، إلا أنهم واجهوا ظروفاً خاصة وصعوبات عديدة تتعلق بالحياة غير المسبوقة التي توجب عليهم العيش في ظلها ومواجهتها، فتوزع المهاجرون على أرض واسعة جداً جعل من المستحيل قيام أي شكل من اشكال الاستيطان الدائم والمتحضر هناك، لهذا سيبدو أي نشاط تراتبي ومترابط للكنسية غير قابل للممارسة. وهذا يوضح الطابع المحلي الذي يميز البروتستانتية الأمريكية عما سواها، حيث ان

(١١) غريس هالسل، النبوءة والسياسة ، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٠، ص٤١.
(١٢) المصدر نفسه، ص٤٥.
(١٣) مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت، المصدر نفسه، ص٤٢.
(١٤) رضا هلال، مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

قاعدة التنظيم الكنسي ينبغي أن تكون الكنيسة المحلية، وبهذا الاعتقاد سيعرفون باسم (الابرشاينيين)[١٥]. وهنا انعكس العهد اللاهوتي الطهراني على ديمقراطية النظام السياسي الامريكي.

وتجدر الاشارة هنا الى ان الدولة لم تتبنَ اي دين معين رسمي لها، لكنها تبنت المسيحية عن طريق مجموعة من الطقوس والشعائر الدينية التي اضيفت الى بعض الشعائر الرسمية. مثل: ان جميع الكنائس الأمريكية تضع العلم الأمريكي في قاعة القداس، وان اغلب الكنائس في وقت الحروب والأزمات تقرأ النشيد الوطني قبل القداس، وان بعض الاعياد والعطل الرسمية هي في اصلها أعياد وطقوس دينية مثل عيد الشكر الذي يعود الى احتفال للمهاجرين الطهوريين عندما قدموا الشكر لله عندما انقذهم من أهوال السفر والبرية و انشاء المستوطنات فهو عيد يدل على امة احاطتها العناية والرعاية الإلهية، وكذلك عيد الشهيد الذي يمثل تخليداً لمعركة (غيتز برغ) في الحرب الاهلية الأمريكية عام ١٨٦٣، اذ وصفهم الرئيس الامريكي (ابراهام لنكولن) في خطبته الشهيرة (خطبة غيتز برغ) انهم شهداء المسيحية[١٦].

المحور الثاني: القيم الدينية المؤثرة في التفكير الاستراتيجي الامريكي

تبرز اهمية الدين في ان اولى القوانين التي صدرت لأجل تنظيم التعليم في المستعمرات الامريكية في العام ١٦٦٥ م أكدت على إنشاء مدارس في البلدات جميعها وتفرض على سكانها السعي لتعزيز هذه المدارس وتسجيل ابنائهم بها ومن يتخلف عن ذلك فسيقع تحت طائلة فرض الغرامات، ونجد في ديباجة هذه القوانين إن الدين هو السبيل إلى المعرفة وأن الالتزام بقوانينه الإلهية يقود الإنسان إلى الحرية[١٧].

وتلعب الاصولية البروتستانتية دوراً حاسماً في تشكيل المعتقد الديني للمجتمع الامريكي، فمنذ تأسيس المذهب البروتستانتي على يد (مارتن لوثر ١٤٨٣م – ١٥٤٦م)الذي هاجم الكنيسة باسم الدين، وبنصوص الكتاب المقدس. وكان شعاره (لا قداسة إلاّ للنص) مطالباً بالعودة الى اصول الديانة اليهودية.

مع العرض ان للأصولية للبروتستانتية العديد من العقائد التي شكلت فيما بعد مرتكزات الاقتصاد الامريكي، فيشير ماكس فيبر إلى أثر الشعور الديني والأفكار والرؤى والتصورات الدينية في تشكيل البعد الاقتصادي للسلوك الانساني. إذ يؤكد أن منشأ الرأسمالية كان بفعل البروتستانتية، لهذا يرى بان الوازع الاخلاقي سبباً أساسياً في ظهور ونشأت نزعة اقتصادية جديدة، ولذلك ربط بين روح الدين وروح الرأسمالية إذ وجد أن الطائفة البروتستانتية تشجع على الادخار والاستثمار وتقدس

(١٥) دومينيك ليكور، اميركا ما بين التوراة وداروين، ترجمة نبيل ابو صعب، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ٢٠١١ ، ص٩٧- ٩٨.

(١٦) جيكو موللرو فاهر نهولتز، الصراع على الله في امريكا، ترجمة: معين الامام، العبيكان، الرياض، ٢٠٠٨، ص٤٢-٤٣.

(١٧) الكسي دي توكفيل، عن الديمقراطية في امريكا ج١، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.

العمل واحترام المهنة وتفرض الواجبات والقواعد التي تنظم السلوك الاقتصادي وتنبذ التواكل وتفرض الحركة والنشاط والكسب العملي استناداً إلى قيم الأمانة في العمل والصدق في القول واتقان الحرفة والاهتمام بالمهنة، ولهذا فإن العمل هو طريق الخلاص والصلاح(١٨).

تحرر المهاجرون من التقاليد الارستقراطية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، فكان توفر الارض في العالم الجديد, اضافة الى ندرة اليد العاملة قد أتاح للمستوطنين الجُدد تحقيق قفزات اقتصادية متميزة، فالأجير يمكن ان يكون رجلاً تام الحرية، ومن رجل تام الحرية الى رجل مالك للأرض دون قيد او شرط، فقد توصل في الحقيقة الى ان الكفاح من أجل الثروة والنجاح الذي فرضته حالة العالم الجديد، قد ألتقى بالأخلاق البروتستانتية، إذ غضت البروتستانتية الوافدة الى العالم الجديد الطرف عن وضع اي قيود اقتصادية من اي نوع كان، إذ اهتمت بالعمل وتكريس الثروة مما ادى الى موافقة دينية على مشاريع الاعمال. كما أكدت على العلاقة الوثيقة بين التقوى الشخصية واحراز النجاحات الدنيوية(١٩). وان حب العمل في المجتمع الأمريكي نابع من كون العمل وأخلاقيات العمل هي سمة مهمة للثقافة البروتستانتية، فمنذ البداية كان دين أمريكا البروتستانتي الذي حمله (الطهوريون) هو: (دين العمل)(٢٠). وبناءاً على ذلك إنساق الطهوريين على وفق منظور: «ما دام المرء لا يستطيع ان يضمن بعمله الصالح موقعه في الجنة لان هذا مكتوب سلفاً فالثراء قابل لأنّ يكون علامة الاختيار والاصطفاء الالهي»(٢١).

سنركز بحثنا في هذا المطلب على مجموعة من العقائد الدينية المهمة ذات التأثير الكبير في التفكير الاستراتيجي الامريكي.

اولاً: التكليف الالهي

من العقائد المهمة التي يؤمن بها الامريكيون والتي تمتد جذورها الى الطهوريين الاعتقاد بكونهم طائفة متميزة عما سواهم، وإنهم يتفوقون على غيرهم كونهم يمتلكون الحقيقة الدينية المطلقة، وان الإله راضٍ عنهم وعلامة هذا الرضا الإلهي هي: الاختيار الإلهي لهم في الأرض الجديدة وحمايتهم، بمعنى اخر أنهم (شعب الله المختار)، ولذلك هم يسعون لبناء (مدينة على تل). وان على عاتقهم تقع مسؤولية الاعلاء من شأن الخير ومحاربة الشر والانتصار عليه، وأن تأخذ هذه العملية بُعدها العام والشامل بتطهير المجتمع من كل شر كامن فيه، وهكذا عندما تغدو القارة نظيفة ومتطهرة من الشر والشوائب لابد من ايجاد قارة أخرى والانتقال إليها والقيام بالمهمة المقدسة من نقل كلام الله، وتمدين الآخرين،

(١٨) أنطوني غيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة فاضل جتكر، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٩، ص٢٠٨-٢٠٩.

(١٩) سمير مرقس، الامبراطورية الامريكية (ثلاثية الثروة – الدين – القوة) من الحرب الاهلية الى ما بعد ١١ سبتمبر، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٨.

(٢٠) صموئيل هنتجتون، من نحن، مصدر سبق ذكره، ص١١١ .

(٢١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

وهذا يعني أن الأطهار هم جنود الله، فعلى الدوام كانت الحركة الطهرانية مطبوعة بهذا الجانب (المقدس)[٢٢]، وستغدو هذه العقيدة بما تحتويه هذا العبارة من لفظ ومعنى فكرة مركزية في فكر المجتمع الامريكي، اي ان هذه العبارة هي بداية فكرة (الاستثنائية الامريكية)، ولربما هي البداية الحقيقية لفكرة السياسية الخارجية الامريكية[٢٣].

وعملت الولايات المتحدة على تأكيد هذه العقيدة من خلال تنشئة الاطفال عليها، ففي المدارس يتم يومياً ترديد قسم الولاء للولايات المتحدة، كذلك فان يتم وبصورة دائمة الاحتفال بالعيد الوطني في المدن الصغيرة، وخلال هذه الاحتفالات يتم تأكيد نوع خاص من المشاعر باستمرار عن طريق الطقوس المقدسة دافعها الاساس هو الاعتقاد ان الولايات المتحدة هي الامة الي اختارها الرب ودعاها لقدرها المميز[٢٤].

ان فكرة الاختيار الالهي لم تكن مرتبطة بذهنية الفرد الامريكي العادي فقط، وانما جرى التنظير لها من قبل النخبة في المجتمع الامريكي، فالعديد من الكتاب الامريكيين يعتقدون بان « الشعب الامريكي هو شعب مختار بامتياز، وان الرب قد اختارهم لكي يحملوا سفينة الحريات عن العالم، فالبشرية تنتظر من العرق الامريكي اشياء عظيمة، وهم ايضاً يشعرون بوجود اشياء عظيمة في ارواحهم، فالرب قد اختار مسبقاً قدرهم، وبالتالي فعلى جميع البشرية ان تسير خلف الولايات المتحدة، فهي رائدة العالم وحارسه الامامي، هي التي ارسلها الرب نحو الاراضي القفرة لتجربة الاشياء التي لم تجرب بعد، لفتح الطريق نحو العالم الجديد الذي هو عالمها»[٢٥].

دأب الزعماء الأمريكيون المدنيون والسياسيون على التحدث بصورة رسمية عن الأمة الأمريكية، كما لو أنها أمة مسيحية، أو على الأقل أمة تتبع الكتاب المقدس، حيث وصف كل من السياسيين ورجال الدين باستمرار الولايات المتحدة بأنها إسرائيل الجديدة، والأمريكيين بأنهم شعب مختار، وشعب مرتبط بميثاق (مع الله). والدليل على ذلك إن خطابات تنصيب رؤساء الجمهورية طيلة القرن العشرين، قد طبقت العبارة البلاغية التي كان الحاكم (جون وينثروب) أول من استعملها عام ١٦٣٠ م، التي تصف أمريكا بأنها "مدينة على تل"[٢٦]. فلا حاجة بنا إلى القمر أو النجوم ليلا، ولا حاجة إلى نور الشمس نهاراً. إنها القدس الجديدة التي لن تنطفئ[٢٧].

(٢٢) عبد القادر محمد فهمي، العقيدة الدينية وأثرها في منهج التفكير السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد ٣٥، بغداد، ٢٠٠٧، ص٢٤ .

(٢٣) هربرت شنيدر، الفلسفة الامريكية، ترجمة : محمد فتحي الشنطي، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٤٦، ص٢٣.

(٢٤) أناتول ليفين، أمريكا بين الحق والباطل تشريح القومية الامريكية، ترجمة: ناصرة السعدون، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٦١.

(٢٥) نفس المصدر، ص ٩٣.

(٢٦) جورج مارسدان، الدين والثقافة الامريكية، ترجمة صادق عودة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠١،ص٥٣.

(٢٧) كلايد برستوفتز، مصدر سبق ذكره، ص٣٤٤.

على هذا الاساس اعتقد «الآباء المؤسسون للدولة الامريكية» منذ عام١٧٨٣ بأن قيام هذه الدولة الناشئة (بعد انفصالها عن بريطانيا) سيشكل بداية جديدة للتأريخ البشري، وبأن الامريكيين مكلفون بتنفيذ رسالة سماوية[٢٨]. ومطالبون بنشرها والتبشير بها في العالم، نشر قيمها الدينية (التي ترتقي بها إلى مكانة لا تضاهيها أمم وشعوب أخرى) خارج حدودها الإقليمية، ما يعني ان عليهم التدخل في كافة الشؤون الدولية اقليمية كانت ام عالمية لتشكيل هذا العالم وفق ما يتناسب مع مضمون هذه الإرادة الإلهية. إن القادة الأمريكيين أداروا سياسة الولايات المتحدة الخارجية وفق ما يتناسب مع هذه (المهمة الحضارية - السماوية) المكلفين بها. فهذا جورج واشنطن اول رئيس للولايات المتحدة الامريكية يؤكد بـ(أن الله أراد لأمريكا أن تكون الموطن الذي يبلغ فيه الانسان كمال انسانيته، وأن تصبح أرضاً يتيسر فيها للفضيلة للعلوم والحرية والسعادة والمجد أن تبلغ أوجها، وأن قضيتنا هي قضية البشرية قاطبة). في حين يرى توماس جيفرسون (أن الأمة الأمريكية هي أمة عالمية تسعى لتحقيق مبادئ وقيم تصلح للعالم كله). اما جون ادم فيقول إنه(كتب على جمهوريتنا الفاضلة الطاهرة أن تحكم العالم، وأن يبلغ فيها الإنسان درجة الكمال). وكان وودرو ويلسون يشعر بأنه (في قبضة إله مسخر لتحقيق إرادته)، وأعلن الرئيس جيمي كارتر أن هذه الرسالة السماوية توجب على أمريكا(تعليم العالم الحرية والديمقراطية)، وصرح كلينتون (ان الولايات المتحدة هي الدولة الواجبة الوجود)[٢٩].

وقد استمرت هذه القيم تحكم الفكر لدى الرؤساء الأمريكيين، وكأنها استجابة روحية لثوابت قيمية من الصعب الحياد عنها أو النظر إلى الأحداث خارج ضوابطها فالرئيس جورج دبليو بوش فور وقوع هجمات ١١ أيلول ٢٠٠١ أضفى على ما يجري صبغة النزاع الكوني والأبدي، الذي ينص عليه الإنجيل والتوراة، بين المؤمنين والدجالين أتباع الشيطان. وقال بعد ساعات قليلة من وقوع الهجمات(إن تلك الهجمات تمثل انطلاقة الحرب المقدسة ضد الشر)، وأضاف أن الولايات المتحدة مدعوة لكي تتحمل(مهمتها التاريخية) وأن(الرد على هذه الهجمات هو لتخليص العالم من الشر). وشدد على أن النصر مؤكد في هذه الحرب لأن الله يقف إلى جانب قوى الخير التي تمثلها الولايات المتحدة. وبثت وسائل الاعلام الامريكية المزمور التوراتي ٢٣ الذي يقول(تقدم إلى الأمام ودافع عن الحرية وعن كل ما هو خير وعادل في عالمنا)[٣٠]. من هنا نستخلص أن مركزية نظرة الفرد الأمريكي إلى نفسه تنبع من المنزلة الكونية التي يضعها لرسالته التبشيرية.

وتجدر الإشارة إلى ان الدعوة الأولى (للطهوريين) حول مفهوم الاختيار الإلهي وشعب الله المختار ليست محددة بمدة معينة، بل مازالت اثارها موجودة

(٢٨) مصطفى الفيلالي، نحن والاخر، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٣١٨ ،٢٠٠٥، ص١٥.

(٢٩) فنسان الغريب، مأزق الامبراطورية الامريكية، مركز الدراسات العربية، بيروت، ٢٠٠٨، ص٥٧.

(٣٠) عامر هاشم عواد، توظيف العامل الديني لخدمة اهداف السياسة الخارجية الامريكية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، بغداد،العدد٢٩، ٢٠١٠، ص٣٣.

الى الآن، وهنا تكمن خطورة هذه الدعوة لكونها ما تزال تضع نفسها في موضع التحدي مع الآخر من أجل تنفيذ هذه الافكار وفرضها[٣١].

ثانياً: قدسية الامة الامريكية

ما دامت الولايات المتحدة مدينة على تل واسرائيل الجديدة وشعبها مرتبط بميثاق مع الله، فقد كان طبيعياً أن يلعب الدين دوراً محورياً في الحياة الأمريكية، وكان من الطبيعي والبديهي أيضاً أن تكون الكلمة العليا للخطاب الديني وذلك لشن حملة صليبية في الداخل والخارج، لتبرير قتل الهنود الحمر ونهب ثرواتهم والقضاء عليهم، واستعباد الزنوج في افريقيا، والعمل على تلقين العالم دروس في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان بل وفرضها بالقوة مثلما حصل في احتلال العراق عام ٢٠٠٣. فمادام هناك تكليف إلهي لأمريكا باعتبارها مدينه على تل فإنه يحق لها ما لا يحق لغيرها، (وليذهب الجميع إلى الجحيم). وهنا يمكن ملاحظة أن عدم التناقض في السياسية الخارجية الأمريكية وازدواجيتها ليس طارئاً، بل هو تعبير عن جانبين مهمين في الشخصية الأمريكية، وكلاهما تميز بأخلاقية ما: الاولى هي أخلاقية الميراث، التي شكل مزاجها المعرفي الشعور بالنقص الإنساني والخوف من الاخر، والأخرى أخلاقية التوكيد المطلق للذات التي أشعلتها الروح الصليبية، والتي يأتي ضمنها تبرير التوسع بالمفهومين الافقي والعامودي واستخدام القوة في شكل أقرب إلى الحملة الصليبية، لتحضير العالم على الطريقة الأمريكية»[٣٢]. والاساس في الاعتقاد بهذه العقيدة ان المهاجرون الاوائل كانوا يعتقدون بوجود خطة شاملة، وهذه الخطة هي من التدبير و الإرادة الإلهية هي التي اوحت للمهاجرين الذهاب و الاستيطان في الأراضي الجديدة، وان الولايات المتحدة كانت موجودة في عقل الله لأهداف محددة منذ بداية الخليقة، ويعتقد المهاجرون البروتستانت الذين غادروا أوروبا و استوطنوا العالم الجديد انهم شعب الله المختار، اختارتهم العناية الالهية للهروب من الفساد في العالم القديم وآثامه لإنشاء مملكة الله على الارض، ويعتقدون ايضاً انهم على علاقة تعاقدية مع الله، وأنهم شركاء في تنفيذ المهمة التي حددها الله لهم في هذا العالم وان هذه الشراكة التعاقدية مع الرب تمثل مهمة خطيرة وهي تنوير بقية امم العالم و هدايتها وانتشالها من الجهل ، وان هذه الشراكة التعاقدية جعلت من الشعب الأمريكي مجتمعاً دينياً يمثل كنيسة القدسيين الأرضية المرئية وأن أفراد هذه الكنيسة هم مواطنون مملكة الرب المرتقبة[٣٣]. وهكذا فإن الروح المشبعة بالصليبية والايمان بالقدر الالهي هي التي صاغت نظرة الأمريكيين إلى حروبهم في الداخل والخارج قديماً وحتى الوقت الحاضر.

(٣١) عبد القادر محمد فهمي، العقيدة الدينية وأثرها في منهج التفكير السياسي للولايات المتحدة الأمريكية ، مصدر سبق ذكره، ص٤٦.

(٣٢) والتر ماكدوجال، ارض الميعاد والدولة الصليبية: امريكا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦، ترجمة رضا هلال، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١، ص٢٨٩.

(٣٣) عبد القادر محمد فهمي، الفكر السياسي الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، مصدر سبق ذكره، ص٣٨.

ثالثاً: التفوق العرقي

ان جذور عقيدة التفوق العرقي اساسها اعتقاد الطهوريين بانهم شعب الله المختار، وفي هذا الصدد يشير (روجيه غارودي) في كتابهِ (الولايات المتحدة طليعة الانحطاط): "ان الطهوريين الانكليز الذين استوطنوا الولايات المتحدة وحملوا معهم الاعتقاد الاشد (فتكاً وخطراً) في تاريخ الانسانية هو الاعتقاد بفكرة (الشعب المختار) هو الذي اعطى الشرعية لعمليات استئصال السكان الاصليين، واغتصاب اراضيهم، وكأنه امر إلهي مقتدين بالأنموذج التوراتي، أنموذج يشوع، حيث اوكل (رب الجنود) بشعبه مهمة ذبح السكان الاصليين في ارض كنعان، والاستيلاء على اراضيهم»[٣٤].

لقد انطلقت الاستراتيجية الأمريكية في التأكيد على ان العدو الذي يتربص بـ(الامة الامريكية) هو ذلك المجهول الذي لا تعرف ملامحه قبل ان يسدد ضربته الاولى[٣٥]. لذلك لا يبدو غريباً ظهور موجات جديدة من العنصرية وطروحات وافكار تصدر من مستويات سياسة عليا تدعو إلى عدم قبول الأخر وثقافته، وفي هذا الصدد يؤكد محمد عابد الجابري بأنه (من هذه المركزية الغربية فأن نظرية صدام الحضارات انما تعني اصطدام الانا الغربي (المتحضر) بالأخر الاسلام والكونفوشيوسي (المتوحش). ومن خلال التتبع للركائز الفلسفية لنزعة التمركز حول الذات ومن خلال تأصيل هذا التمركز وتجلياته نصل في الفكر الاستراتيجي لليمين الأمريكي إلى النزعة العرقية حيث إلغاء الاخر، وهذا يؤكد ان ولادة الفكر الغربي الحديث اقترنت بظاهرة التفوق العرقي، أي القول بوجود مجموعة من الطبائع المحدودة والخاصة تقف سبباً وراء الحضارة الغربية الحديثة، ويستندون في ذلك من خلال القول بنظرية الطبائع العرقية سعياً لتفسير تجانس مكونات تلك الثقافة. ومن ناحية أخرى مارست هذه النظرية دوراً فاعلاً في اعادة تركيب تأريخ الغرب على انه نتاج مميزات بشرية محدودة ومتصلة بمجموعة عرقية على وجه الخصوص[٣٦].

ان اطروحة التفوق العرقي على خطورتها فهي المرتكز الاساس الذي قامت عليه اطروحة الاستثنائية الامريكية والتي في جوهرها هي الاعتقاد بسمو وعلو العرق الأنجلو سكسون الذي انشأ الولايات المتحدة ويكون القاعدة الرئيسة لمجتمعها، وهذا الامر له انعكاساتها الخطيرة على الصعيد الدولي، فطبقاً لهذه الاطروحة نجد ان الولايات المتحدة طبعت سلوكها الدولي واستراتيجيتها العالمية بطابع التطرف والعنف اللامسبوق في استخدام القوة تحت شعار (من ليس معنا فهو ضدنا).

(٣٤) روجيه غارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، ترجمة: مروان حمودي، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ١٩٩٨، ص ٢٢.

(٣٥) ناظم عبد الواحد الجاسور، المرجعية الفكرية للخطاب السياسي والاستراتيجي الامريكي ما بعد الحادي عشر من ايلول٢٠٠١، دار النهضة العربية ، بيروت،٢٠٠٦، ص ٩٣.

(٣٦) محمد عابد الجابري، الفكر السياسي، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص١٤١.

رابعاً: العقيدة الالفية الاسترجاعية

ومعناها محتوى الالف، وفي اصلها هي عقيدة يهودية تقول بان على رأس كل الف عام لابد وان يشهد العالم احداثاً كبرى، وتبقى هذه العقيدة بحالة تتابع حتى يأتي الالف الاخير الذي يظهر به «الملك الالفي» الذي يحكم العالم بأجمعه بعد ان سادته الحروب والفتن، وعليه فان (المسيح المنتظر) سيخرج من اورشليم قبل يوم السبت ، اي قبل اليوم السابع من الالفية السابعة من عمر الدنيا(٣٧).

وترتبط العقيدة الالفية بنهاية التاريخ ، ولما كانت نهاية التاريخ غير معلوم وقت حدوثها نجد ان هنالك من يقوم بمهمة التعجيل لنهاية التاريخ، والفرق بين نهاية التاريخ والتعجيل لنهايته ان الاخيرة هي ترجمة للعبارة العبرية (دحيكات هاكتس) ومعناها "الضغط على الرب لإجبار الماشيح المخلص على المجيء»، ويلقب المعجلين بالنهاية بلقب «دوحاكي هاكتس"(٣٨).

وجدت العقيدة الالفية اول صدىٍ لها مع دعوة البابا (اوربان الثاني) الذي طاف في اوروبا في نهايات القرن الحادي عشر الميلادي وبالتحديد في العام ١٠٩٥ لتحشيد الاوربيين للذهاب الى ارض اورشليم (بيت المقدس) وتحريرها من ايدي المسلمين وان الرب يبارك هذه الحروب ،وهي ستكون حرب مقدسة باسم الصليب لأجل استعادة ارض المسيح ومن ثم التهيئة لعودته. وهنا نجد ان هذا البابا غلف دعوته هذه بمضمون ديني استعاره من العهد القديم لأجل تدعيم دعوته هذه ولكي تجد قبولاً لدى الناس بأن هذه الاحداث الكبيرة والتي حدثت على رأس الالفية الجديدة ستكون هي الباب الذي سيعود من خلاله المسيح.

تقود العقيدة الالفية الى عقيدة ثانية لا تقل خطورة عنها وهي العقيدة الاسترجاعية والتي تعني انه لأجل ان تبدأ الالفية السعيدة التي يحكم فيها الملك الالفي (المسيح) لابد ان يتم استرجاع اليهود الى ارض كنعان تمهيداً لمجيء المسيح. ويرى الاسترجاعيين ان عودة اليهود الى ارض فلسطين هي بشارة الالف عام السعيدة، وان هذه العودة هي الشرط الاساسي لتحقق الفردوس الارضي، وان المسيحيين هم شعب الله المختار الجديد او الثاني (على اعتبار ان اليهود هم شعب الله المختار القديم او الاول)، ولذلك فان انصار هذه العقيدة يرون بان ارض فلسطين هي ارضهم التي وعدهم الرب بها (كما اوضحنا ذلك سابقاً في النقطة الاولى من هذا المطلب)، وان وعود الرب لا تسقط حتى وان خرج شعبه المختار القديم عن الطريق ورفضهم للمسيح و(صلبه)ولذلك فان كل من يقف بوجه هذه العودة يعد من اعداء الرب واعداء المسيح ويقف ضد الخلاص المسيحي(٣٩).

ان العقيدة الالفية والاسترجاعية تشكلان ركناً اساسياً من العقائد البروتستانتية، مع العرض ان البروتستانتية الامريكية تختلف عن البروتستانتية الاوربية، فالأولى

(٣٧) محمد بن اسماعيل المقدام، خدعة هرمجدون، دار بلنسية، الرياض، ٢٠٠٣،ص٣٤.

(٣٨) سومية حجاج، نبوءات نهاية المعاد ونهاية العالم في الاديان السماوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨، ص١٢٩.

(٣٩) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد ٦، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢١٤.

تتميز بقربها الشديد من اليهودية بل ان البعض يعدُها مذهباً حديثاً في الديانة اليهودية وليست فرعاً من المسيحية، وعلى النقيض من ذلك فان البروتستانتية الاوربية حافظت الى حدٍ ما على اسس ومتبنيات البروتستانتية الاصلية.

تسمى البروتستانتية الامريكية الان باسم (الصهيونية المسيحية الاصولية)، والتي هي في جوهرها «مجموعة من العقائد الصهيونية المنتشرة بين المسيحيين وخاصة بين قيادات واتباع الكنائس البروتستانتية، تهدف الى تأييد قيام دولة يهودية في فلسطين، باعتبارها حقاً تاريخياً ودينياً لليهود، ودعمها بكل الامكانات المتاحة والمتوفرة التي تساعد وتسهل في اتمام هذه المهمة، وهي البرهان على صدق العهد القديم، وعلى اكتمال الزمان، والعودة الثانية للمسيح المخلص»(٤٠).

ان في الولايات المتحدة ذات الاغلبية البروتستانتية توجد اكثر من مئتي طائفة من الطوائف البروتستانتية، وابرز هذه الطوائف هي طائفة (المسيحيون المولودون من جديد) التي يقوم ايمانها على هدف اساسي يتلخص « ان مشيئة الرب لن تتحقق الا اذا عاد اليهود الى ارض الميعاد واقاموا فيها مملكة اسرائيل اليهودية الخالصة، التي لا يشاركهم فيها او يقيم على ارضها احد خلا اليهود انفسهم»(٤١).

للعقيدة الالفية الاسترجاعية مكانة هامة في التفكير الاستراتيجي الامريكي، فمنذ صدور وعد بلفور في العام ١٩١٧ الذي عد او وثيقة دولية تعمل على توطين اليهود في دولتهم المفترضة في ارض فلسطين، اخذت الولايات المتحدة على عاتقها تحقيق هذا الوعد بكل ما امكنها من قوة، فهذا الرئيس الامريكي (وودرو ويلسن) يعلن عن رغبته في تسهيل لم شمل اليهود، وانه قدر له ان يعيد اليهود للأرض المقدسة، فيقول ذات مرة: «انني انا ابن الابرشية يجب ان اكون قادراً على المساعدة في اعادة الارض المقدسة لشعبها»(٤٢).

يرى الباحث ان العقيدة الالفية الاسترجاعية هي المحرك الاساسي للعلاقات الامريكية – (الاسرائيلية)، وهي التي تفسر سبب الرعاية الامريكية (لإسرائيل). حيث نجد ان الولايات المتحدة مندفعة اكثر من اليهود انفسهم لأجل اقامة هذه الدولة وحمايتها بكل الطرق كي تعجل بالعودة الثانية للمسيح، والدليل على ذلك ان الولايات المتحدة الامريكية اعترفت بدولة (اسرائيل) بعد اعلانها بإحدى عشرة دقيقة، وهي التي رعت الحركة الصهيونية العالمية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، واخيرها قرار الرئيس الامريكي دونالد ترامب باعتبار القدس عاصمة دولة (اسرائيل) ونقل سفارة بلاده اليها، الامر الذي عدته العديد من المنظمات والحركات الصهيونية نذير شؤم باقتراب نهاية دولتهم ونهاية التاريخ وقرب حدوث معركة اخر الزمان (هرمجدون).

---

(٤٠) حميد حمد السعدون، الحوار الحضاري بين الاصولية الدينية وسياسة الهيمنة الامريكية، مركز العراق للدراسات، بغداد، ٢٠١٠، ص ٥٩.

(٤١) نفس المصدر، ص ٦٤.

(٤٢) مايكل بي. أورين، القوة والايمان والخيال امريكا في الشرق الاوسط منذ ١٧٧٦ حتى اليوم، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٣٥٣.

المبحث الثالث
النتائج المترتبة على تأثير القيم الدينية في التفكير الاستراتيجي الامريكي

المحور الاول: النتائج في زمن الرئيس بوش الابن

منذ وصول الرئيس الامريكي الاسبق جورج بوش الابن لسدة الحكم عام ٢٠٠٠ بدت الميول الانعزالية في توجهات الادارة الامريكية الجديدة واضحة للعيان، فهي بدأت تضع تعريفها الضيق الخاص بها للمصالح الامريكية، هذه المصالح التي توصف بانها كونية تشمل الكوكب بأسره تؤكد على ان هدفها العام هو خلق عالم افضل من الذي نعيشه الان، وطبقاً لذلك فان الولايات المتحدة غير مسؤولة سياسياً او اخلاقياً عن العالم الغير خاضع لهيمنتها او سلطانها، ولا يتوجب عليها ان تتحمل اية تكاليف في سبيل تحقيق هذه المصالح(٤٣).

بدأ الرئيس بوش الابن عهده بالحرب على الارهاب، هذا العدو الجديد الهلامي الذي وفر المبرر للولايات المتحدة للتدخل عسكرياً في مناطق عدة في العالم بحجة محاربته، هذه الحرب التي لا تقيم اي اعتبار لسيادة وسلامة اراضي الدول الاخرى، فالكوكب كله اضحى ساحة للعمليات العسكرية الامريكية، وكانت القوات العسكرية الامريكية في حالة استعداد دائم للحرب والتدخل العسكري في ساحة مفتوحة المكان والزمان لمحاربة الارهاب(٤٤).

عملت أحداث ٢٠٠١/٩/١١ على إحداث تغييرات جوهرية في التفكير الاستراتيجي الامريكي، ويمكن تلمس اثار هذه التحولات بشكل واضح في استراتيجية الامن القومي للولايات المتحدة التي صدرت في عام ٢٠٠٢، حيث ان مرتكز هذه الاستراتيجية هو السعي الحثيث للولايات المتحدة لمنع واجهاض القوى التي تنذر بخطر قريب على مصالح الولايات المتحدة قبل ان تستفحل هذه القوى وتصبح بحاجة ملحة الى علاجات حاسمة. وتقوم هذه الاستراتيجية على مبدأين رئيسيين هما(٤٥):

١. الردع المبكر. الذي يقوم على خلق قناعة لدى الخصوم الحاليين او المحتملين بان اي عمل سيقومون به يمس لمن وسلامة الولايات المتحدة ومصالحها الحيوية سيواجه وبدون سابق انذار بضربات وقائية.
٢. الضربة الاستباقية. وتقوم هذه الضربة على عنصر المبادرة بالهجوم المفاجئ لتدمير الخصوم الذين يحاولون تهديد الولايات المتحدة وامنها

(٤٣) محمد سيف حيدر النقيد، نظرية نهاية التاريخ وموقعها في اطار توجهات السياسة الامريكية في ظل النظام العالمي الجديد، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، ٢٠٠٧، ص ٩٩.

(٤٤) وائل محمد القيسي، الاداء الاستراتيجي الامريكي بعد العام ٢٠٠٨، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٦، ص ١١٦-١١٧.

(٤٥) عبد القادر محمد فهمي، المدخل في دراسة الاستراتيجية، جامعة بغداد - كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٧٩.

ومصالحها الحيوية.

لأجل قيام هذه الاستراتيجية بعملها على اتم وجه ووفق الاهداف المرسومة لها فأنها بحاجة لتوفر عاملين اساسيين عملت الولايات المتحدة على توفيرهما. هما(٤٦):

١. انتشار القوات العسكرية الامريكية في العالم استراتيجياً لحماية مصالحها العالمية التي تغطي العالم بأقاليمه المختلفة.
٢. العمل على توفير الدعم الاستراتيجي لعمل قوات الحلفاء والاصدقاء.

انطلق الرئيس بوش الابن من منطلقات دينية في حربه على العراق، فهو اعتمد على مجموعة من النبوءات الدينية المذكورة في (الكتاب المقدس) والتي توجب على الرب ان يأخذ بثأر بني اسرائيل من بابل التي سبتهم ودمرت اورشليم وقامت بتحطيم التابوت المقدس الذي يحوي التوراة حيث جاء في الكتاب المقدس: (١- اعَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ.٢- عَلَى الصَّفْصَافِ فِي وَسَطِهَا عَلَّقْنَا أَعْوَادَنَا.٣- لأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلَنَا الَّذِينَ سَبَوْنَا كَلاَمَ تَرْنِيمَةٍ، وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: «رَنِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيَوْنَ».٤- كَيْفَ نُرَنِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟ ٥- ان نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ، تَنْسَى يَمِينِي!.٦- لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ، إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي! ٧- اُذْكُرْ يَا رَبُّ لِبَنِي أَدُومَ يَوْمَ أُورُشَلِيمَ، الْقَائِلِينَ: «هُدُّوا، هُدُّوا حَتَّى إِلَى أَسَاسِهَا». ٨- يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! ٩- طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!)(٤٧). وبسبب الخلفية الانجيلية للرئيس بوش الابن كما عرفنا سابقاً فهو كان معتقد تماماً بما جاء بهذا المزمور واخذ على عاتقه تدمير بلاد بابل القديمة عملاً بنبوءات الكتاب المقدس.

ما يؤكد هذا الكلام ان الرئيس الفرنسي الاسبق جاك شيراك اكد ان الرئيس بوش الابن كان يتصل به دائماً ويخبره بوجوب انضمام فرنسا للحملة الامريكية لاحتلال العراق لكن فرنسا كانت معارضة لقرار احتلال العراق. يقول الرئيس شيراك انه تلقى اتصالاً في منتصف الليل من الرئيس بوش الابن يخبره (انه مكلف من الرب لقيادة حملة باسم الصليب لغزو العراق ومحاربة جيش «يأجوج ومأجوج» والقضاء عليه، وان جيش «يأجوج ومأجوج» خطير للغاية كونه الجيش الذي ستكون على يديه نهاية (اسرائيل) وان معركة نهاية الزمان (هرمجدون) ستحدث بمجرد انتصار هذا الجيش على (اسرائيل). صحيح انك مسيحي كاثوليكي وانا مسيحي انجيلي لكن يجب علينا انت تحد معاً لأجل القضاء على الشر ومحاربة "يأجوج ومأجوج" في العراق قبل ان يستفحل امرهم وهذا واجب الهي لحماية العالم)(٤٨).

(٤٦) نفس المصدر، ص ٢٨٠.

(٤٧) الكتاب المقدس، سفر المزامير ١٣٧.

(٤٨)**https://www.theguardian.com/commentisfree/andrewbrown/2009/aug/10/religion-george-bush**

وهو ما دفع محمد حسنين هيكل للتساؤل عنه: (أن الهدف الرئيسي للاستراتيجية الأمريكية في القرن الجديد إمبراطوري مزدوج المقاصد في منطقة الشرق الأوسط فهو يهدف الى بسط السيطرة على هذا الاقليم – بعد الشرق الاوسط قلب العالم منذ بداية التاريخ وحتى حاضره – من جهة، ويمد يده إلى مكامن النفط تحتها باعتبارها محرك التقدم الاقتصادي المضمون حتى هذه اللحظة، ولكن اللافت للنظر والذي يدعو للتفكير حول منطق تعامل القوة الاعظم في العالم هو تلك الانتقالة السريعة من نيويورك إلى كابول ومن كابول إلى بغداد، فكيف تحول المشروع الإمبراطوري الأمريكي الى الحرب على العراق بدلاً من الحرب على الارهاب؟ وكيف انتقلت بؤرة الاحداث بعد ١١ /٢٠٠١/٩ من كابول الى بغداد بعد ان كانت من نيويورك الى كابول نيويورك إلى كابول؟)[٤٩].

هنا نجد وبشكل لا يقبل الشك ان القيم الدينية الامريكية كانت هي السبب الرئيسي في احتلال العراق وزعزعة امنه واستقراره وتدمير مجتمعه واقتصاده، وان شعار (من ليس معنا فهو ضدنا) يعطي دلالات واضحة على فحوى تأثير القيم الامريكية خصوصاً الدينية منها باعتبار الاخر هو رمز الشر الذي يريد تدمير العالم الحر الذي تقوده الولايات المتحدة التي تمثل شعب اسرائيل الجديد التي ارسلها الرب لتحرر البشرية مما تعيشه من حالة الضياع والتيه الكبير.

المحور الثاني: النتائج في زمن الرئيس باراك اوباما

عندما تسلم الرئيس الامريكي السابق باراك اوباما الرئاسة الأمريكية اواخر عام ٢٠٠٨، وجد نفسه مضطراً للتخلي عن سياسات ادارة الرئيس بوش الابن التي سبقته، فعمل على طرح أفكار تتوائم مع الوضع الدولي الجديد الذي لم تعد فيه الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة المهيمنة بلا منافس، مما دفعه لطرح افكار جديدة عن الشراكة والقيادة والاعتماد على المنظمات الدولية والتحول في استخدام القوة وتوظيفها من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة، أو اللجوء الى المزاوجة بين الاثنين معاً باستخدام (القوة الذكية). والعامل الحاسم في تحول فكر الهيمنة الامريكي في من الاستخدام العنيف والمكثف للقوة الصلبة في زمن الرئيس بوش الابن الى الاعتماد على القوة الذكية في زمن الرئيس باراك اوباما هو (خزين القوة) متعدد الابعاد الذي تحوزه الولايات المتحدة وامتلاكها لكل الادوات والمقومات اللازمة لاستخدام قوتها بالشكل الامثل.

لقد سعت الادارة الامريكية الجديدة الى العمل على اعادة الاعتبار لمكانة الولايات المتحدة دولياً ومحاولة معالجة ما اصابها من هفوات وهنات ادت الى تراجع نسبي في دورها القيادي العالمي، مما ادى الى بروز قوى دولية جديدة تسعى لمكانة دولية لها وتبحث عن دور يتوائم مع قدراتها وامكانياتها، وهذا كله اثر على هيكلية النظام الدولي مما دفع بإدارة الرئيس اوباما الى تبني استراتيجية القوة الذكية التي جاءت استجابة للتحديات الداخلية والخارجية التي تجابه الولايات

(٤٩) محمد حسنين هيكل، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق، دار الشروق، ط ٢، ٢٠٠٣، ص١٩٤.

المتحدة ومكانتها في الساحة العالمية[٥٠].

بدت المبادئ الليبرالية واضحة على شخصية الرئيس اوباما، فهو تبنى سياسة خارجية متوازنة غير معنية (من الناحية النظرية) بفرض القيم الامريكية على الاخرين، بل هي تفضل الحوار والوسائل الدبلوماسية في دفع الاخرين الى تبني الاستراتيجية الامريكية بدلاً من الاكراه بالقوة، فهي تسعى الى الاستعانة بالدول والمنظمات الدولية في مواجهة ما يستجد من ازمات على الساحة الدولية مستعينة بصيغة تعاونية متعددة القومية عوضاً عن التصرف بصورة فوقية بوصفها الدولة العظمى الوحيدة، ونجح في ذلك اذ خلال اشهر معدودة تمكن من تغيير الجو المعادي للولايات المتحدة الذي تسببت به ادارة سلفه جورج بوش الابن، ليحصل على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٩ تقديراً لجهوده وطموحاته[٥١].

المحور الثالث: النتائج في زمن الرئيس دونالد ترامب

يبدو على الرئيس ترامب تأثره الواضح بالبراغماتية الامريكية، ويمكن تلمس اثارها بشكل واضح في سلوكه السياسي الخارجي، فهو اعلن وبصراحة ان علاقات الولايات المتحدة الامنية وتحالفاتها العسكرية الموروثة منذ فترة الحرب الباردة اصبحت تشكل عبئاً كبيراً على الاقتصاد الامريكي، خصوصاً مع تجاوز دينها العام معدل ناتجها المحلي الاجمالي، فحلف الناتو اصبح ضعيفاً ولم يعد يلبي الاهداف المرجوة من تأسيسه واضحى ثقلاً كبيراً يكلف الولايات المتحدة الشيء الكثير من طاقتها السياسية والعسكرية والاقتصادية، وبالتالي فان اعادة النظر بوجوده واستمراره اصبح يشكل ضرورة قصوى لترامب، وان على حلفاء الولايات المتحدة الايفاء بالتزاماتهم المالية والا فان الولايات المتحدة لن تسارع لنجدتهم اذا اقتضت الحاجة، فعلى اليابان وكوريا الجنوبية والسعودية ان تقوم بدفع ثمن الحماية الامريكية لها لان الولايات المتحدة تحت رئاسة ترامب لن تدافع عنهم بالمجان وان شاءوا فليمتلكوا اسلحة نووية يدافعون بها عن انفسهم (ان استطاعوا ذلك)!![٥٢].

بالرغم من كون ترامب ركز بشكل كبير على تحسين المستوى الاقتصادي للشعب الامريكي واهتمامه بالسياسة الداخلية الامريكية على حساب السياسة الخارجية ومحاولته خلق المزيد من الوظائف وضمان رفاهية المجتمع الامريكي، الا انه اكد مراراً وتكراراً على ان الارهاب العالمي هو الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة ووجودها، ليس هذا فقط بل انه جعل من الاسلام والمسلمين الوجه الاخر للإرهاب واسماه (الارهاب الاسلامي المتطرف) في اشارة منه الى ان الاسلام والمسلمين ارهابيون محتملون في كل مكان وزمان، وهذا بدوره عزز الصورة

(٥٠) محمد وائل القيسي، مصدر سبق ذكره، ص ٣١١.

(٥١) التقدير الصهيوني السنوي حول (الشعب اليهودي)، ترجمة: إحسان مرتضى، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٢، ص ٤٨- ٤٩.

(٥٢) مروان قبلان، اطروحات ادارة ترمب ونظام ما بعد الحرب العالمية الثانية: «انقلاب» في السياسة الخارجية ام نسخة باهتة من الجاكسونية؟، مجلة سياسات عربية، المركز العربي لسياسات الابحاث والدراسات، الدوحة، ع٢٤، ٢٠١٧، ص ١٠١.

السلبية عن الاسلام بوصفه دين الارهاب والقتل وسفك الدماء[٥٣].

انطلق الرئيس ترامب من منطلقات مسيحية انجيلية في علاقاته الخارجية خصوصاً مع (اسرائيل) نقلت سفارة بلاده فيها من تل ابيب الى القدس التي اعتبرها عاصمة لـ (اسرائيل)، لذلك اعتبر العديد من (الاسرائيليين) ترامب بطلاً قومياً بالنسبة اليهم، كذلك الامر مع المسيحيين الانجيليين في الولايات المتحدة الذين يعدون ترامب اولى بشارات عصر العودة الثانية للمسيح المخلص الذي سيحكم ١٠٠٠ عام يعيش العالم فيها تحت الحكم الصالح (كما وضحنا ذلك سابقاً في العقيدة الالفية الاسترجاعية)، وبالرغم من كونه ليس برجل دين او كاهن الا ان انصاره الانجيليين ومجموعات اليمين المتطرف التي تسانده وابرزها منظمة كو كلوكس كلان (التي هددت علانية بإغراق الولايات المتحدة بالدم ان لم تعتمد نتائج انتخابات ٢٠١٦ التي فاز بها ترامب) فان ترامب ينجز بالفعل اجندة الشرق الاوسط الخاصة بنهاية العالم[٥٤].

(٥٣) ليث يوسف بدر، الخطاب الاعلامي للرئيس ترامب في الانتخابات الامريكية: دراسة في المواقع الاخبارية الالكترونية / CNN ARABIC نموذجاً، مجلة الباحث الاعلامي، كلية العلوم السياسية – جامعة بغداد، بغداد، ع٤٢، ٢٠١٨، ص ١٠٦ – ١٠٧.

(٥٤) **John Feffer, Oh Magog! Apocalyptic Christianity Returns to U.S. Foreign Policy**
Trump is no churchgoer. But for evangelicals, his hard right line on Israel and machinations against Iran make him an instrument of the end times. On
https://fpif.org/oh-magog-apocalyptic-christianity-returns-u-s-foreign-policy/

الخاتمة والاستنتاجات:

بالرغم من كون المجتمع الامريكي مجتمع يخضع لنسق قيمي يجعل منه مجتمع يوصف بانه مادي الا ان القيم المادية الامريكية ترجع في اصولها ونشأتها للقيم الدينية البروتستانتية الطهورية، فالقيم المادية الامريكية كالبراغماتية والدارونية الاجتماعية في جوهرها هي عملية تطوير وتحسين لمجموعة من القيم الدينية الحاكمة للسلوك الاجتماعي الامريكية كقيمة (التكليف الالهي، التفوق العرقي، قدسية الامة الامريكية، .....الخ)، وبالتالي فان ما يقال عن كون المجتمع الامريكي هو مجتمع مادي صحيح ولكنه نصف الحقيقة، اما الحقيقة الكاملة فان المجتمع الامريكي هو مجتمع يخضع لثقافة رئيسية هي ثقافة الواسب (WASP) وهذه الثقافة تقوم على مجموعة من العناصر المتصلة بالبعد الديني للمسيحية الانجيلية البروتستانتية.

توفر القيم الدينية الامريكية الغطاء الشرعي لمنطق الهيمنة الامريكية فلكون الامريكيون يعتبرون انفسهم مكلفين بتأدية رسالة الهية ذات مضمون عالمي يهدف الى اعادة بناء هذا العالم من جديد حتى يتهيؤوا لاستقبال الالفية السعيدة عندما يعود المسيح المخلص في الالفية السابعة من عمر البشرية ويحكم بعد العالم لمدة الف عام يسود السلام والامن ربوع العالم، ولتحقيق هذه النبوءة يتوجب على الامريكيين العمل بكل ما أوتوا من قوة لضمان هيمنتهم وسيطرتهم على العالم وانتهاج سياسة (كونية) تهدف لحكم العالم فرض المنظومة القيمية الامريكية باعتبارها الانجع والاصلح لتكون نظاماً قيمياً عالمياً لكل البشر.

وبناءاً على ما تقدم فان دراستنا هذه خلصت الى مجموعة من الاستنتاجات مفادها:

١. القيم الدينية الامريكية موجودة قبل تأسيس الدولة الامريكية، فهي ولدت مع اول رحلة للمهاجرين الاوربيين للعالم الجديد قبل خمسة قرون.
٢. يعد الدين عاملاً مهماً من عوامل نشوء وتكوين القيم الامريكية. حيث تعد قيم التفوق العرقي والتكليف الالهي وغيرها من القيم الدينية الامريكية الاساس الذي قامت عليه القيم المادية الامريكية كالبراغماتية ونظرية التطور البيولوجي.
٣. الامريكيون يعتقدون وبقرارة انفسهم انهم اشخاص استثنائيون وان ليس على وجه الارض اناس غيرهم يجارونهم بما يمتلكون من تاريخ وثقافة وعلوم واقتصاد وقوة.
٤. ان عقيدة الاستثنائية الامريكية توفر غطاء فكري لكل ما قامت به وستقوم به الولايات المتحدة من اعمال على مستوى العالم، تحت غطاء ان الامة الامريكية متميزة عن غيرها من الامم وانها (اسرائيل الجديدة وشعب الله المختار) التي كلفها الرب بحمل مشعل الهداية للأخرين.

٥. التيارات الشعبوية واليمينة المتطرفة التي اخذت بالضهور فاستلامها زمام الحكم في دول العالم المتقدم وخصوصاً في الولايات المتحدة ما هو الا نتيجة منطقية لارتفاع تأثير هذه القيم على تأثير الفرد الامريكي.
٦. القيم الامريكية وخاصة الدينية منها تخضع لتأثير نبوءات الكتاب المقدس، وكما علمنا فان هذه النبوءات شكلت المقوم الرئيسي للتفكير الاستراتيجي الامريكي في عهد الرئيس الامريكي الاسبق جورج بوش الابن الذي احتل العراق لأجل القضاء على «يأجوج ومأجوج» !!!